في المجمع الافسسي سنة ٤٣١

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

٣

في تمام المجمع الافسسي سنة ٤٣١

قد تكون مسألة البدعة النسطورية انتهت انتهاء كلياً محضاً ، وذلك بحكم البابا المكلف تنفيذه البطريرك الاسكندري ، دون تدخل البطريرك الانطاكي او اسقف آخر. لكن حاشية الملك رأت هذا الاسلوب بسيطاً للغاية ، فاقترح الرهبان الذين اهانهم نسطور التئامَ مجمع مسكوني ، ونسطور نفسه قد استحسن هذا الفكر متأملاً الانتصار بعون السلطة المدنية ونفوذ اساقفة الشام، وشجب كيريلس سنداً الى شكاوى المفترين عليه . فعين ثردوسيوس الملك مدينة افسس ، نهار العنصرة سنة ٤٣١ . وما كان اشد اتكال نسطور على ذاته والثقة التامة بنجاحه ! اذ لم يرتشد بنصائح صديقه يوحنا البطريرك الانطاكي ، الذي دعاه في تحرير وجهه الى الطاعة لحكم البابا والرجوع عن غيه . لكن الكافر ظلّ مصرًّا على عناده ، كاتباً له: « ان تقابلنا في المجمع الذي نؤمل عقده ، نرتب جميع الامور دون عثرة باتفاق ، وعليكم ان تتعجبوا اقل من غيركم بادعاء المصري حسب عادته. وان شاء الله عن قريب سيُمدَح سلوكنا . » وكتب نسطور ايضاً الى البابا رسالة يقول فيها ان كيريلس يسعى ليتملص من حضوره المجمع المقصود عقده لفحص الشكاوى المتهم بها ؛ وانه متشبث بكلمتي «ام الله» و«ام المسيح».

وحرّر مار كيريلس رسالة الى البابا يسأله فيها عما يجب عمله لو رذل نسطور تعاليمه السابقة ، هل يجب على المجمع الافسسي ان يحلّه او ان يحافظ على الحرم المنزل به ، لانه لم يرجع عن كفره قبل الاجل المضروب له . فاجابه البابا القديس ، في ٧ ايار سنة ٤٣١ ، ان عليه الاقتداء برحمة الله الذي لا يريد موت الخاطئ بل يقبل دائماً توبته ولو كانت بطيئة ؛ ويفوّض في الوقت نفسه البطريرك الاسكندري ان يلاشي مع الاساقفة جميع الاضطرابات التي نشأت في الكنيسة ، وزيادةً عليه يسمي الحبر الاعظم ثلاثة ممثلين سامعين ليحضروا باسمه المجمع الافسسي ، وهم الاسقفان اركاديوس وبروجكتوس ورفيقهما الكاهن فيلبوس . وما ابلغ تلك الوصية التي القاها عليهم اذ قال : «

« عند ما تبلغون بعون الله حسب املنا الى المحل الذي تقصدونه وجهوا جميع افكاركم نحو اخينا وشريكنا في الاسقفية كيريلس ، واصنعوا كل ما يستصوبه ؛ نحن نأمركم ايضاً بصيان سلطة الكرسي الرسولي اذ المعلومات المعطاة اليكم تحملكم على وجوب الحضور الى المجمع . . . ومتى طرحت القضايا على بساط البحث ينبغي لكم ان تبدوا حكمكم في الامور المعروضة رافضين كل الرفض ان يتناول الجدل كلامكم . »

وفي الوقت نفسه (٧ ايار) حرّر الى آباء المجمع رسالة قال فيها : « ايها الاخوة الاعزاء . . صلّوا معاً مثل الرسل الذين طلبوا من الله ان يكرزوا بكلامه بثقة ؛ فماذا يجب طلبه لمجمعكم المقدس سوى ان يذيع بثقة كلام الرب ، ويحافظ عما امر بكرازته ؛ وممتلئين من الروح القدس ، تبشرون كلكم بالتعليم الواحد الذي يعلمكم اياه . » وكتب ايضاً الى الملك ثودوسيوس مادحاً غيرته على صيانة الايمان الكاثوليكي حاثّاً اياه على قمع المبدعين .

كان الاجل المضروب للمجمع عيد العنصرة الواقع في ٧ حزيران سنة ٤٣١ ، فوصل نسطور الى افسس بين الاولين لقربها من العاصمة ، ورافق الكافر صديقاه الاميران ايريناوس وقنديديان قائد الحراس الملكيين الذي كلفه مولاه حفظ الامن العام في المجمع . ثم وصل الى افسس مار كيريلس مع خمسين اسقفاً ، وبعد عيد العنصرة بخمسة ايام حضر يوتنال البطريرك الاورشليمي مع

اساقفة فلسطين ؛ اما ممنون ، اسقف افسس ، فقد دعا نحو اربعين اسقفاً من آسية . وحضر ايضاً اساقفة من قبرص وقبادوقيا وبلاد البونطس ، وفلافيانوس اسقف فيلبي ، بدلاً من روفس اسقف تسالونيقي المريض ، وبريجان اسقف قورنثي ، والشماس بسولا من قرطجنة نيابةً عن اساقفة افريقية ؛ وكان مار اغوسطينوس مدعوًّا باسمه الى المجمع لكن الرب سبق ونقله الى دار السعادة الابدية († ٤٣٠) .

فكان في هذا المجمع نحو مائتي اسقف اكثرهم رؤساء كراسي رسولية مهمة مشهورون بالفضائل والعلوم الكنسية . وانتظر الآباء بصبر عظيم قدوم يوحنا البطريرك الانطاكي واساقفة بلاد الشام وايطالية . ولما طال الزمان ومرض ومات بعض الاساقفة ، قصد ماركيريلس والآباء عقد المجمع في الـ٢٢ من حزيران في كنيسة مطيمة مكرسة للبتول [1] المجيدة .

عُقد في المجمع الافسسي سبع جلسات قانونية اشهرها الجلسة الاولى . وكان فيها الاساقفة مصفوفين صفين متقابلين ، وتصدر الجلسات ماركيريلس نائب الحبر الاعظم حسب عبارة الاعمال المجمعية . وبين الصفين وُضعت الاناجيل المقدسة منتصبة على عرش ، كانها تدين الكافر الحديث .

الجلسة الاولى المظيمة في ٢٢ حزيران

عند حضور جميع الاساقفة الى المجمع ، عرض باختصار بطرس الكاهن الاسكندري الامور التي سبقت التئام المجمع ؛ وقدّم الى الآباء جميع الاسانيد المتعلقة بالبدعة الجديدة ثم بين ممنون ما حدث للآباء من حين وصولهم الى افسس . اما نسطور فانحبس في قصر احيط بعساكر مسلحين بدبابيس ، فاستدعاه الآباء ثلاث مرات استدعاء رسمياً ليحضر الجلسة المجمعية ، فلم يشأ الحضور اليها متعللاً بعدم وصول البطريرك الانطاكي واساقفته الى افسس . ولما تأكد

---

(١) اشهر الكنائس الافسسية هي كنيسة القديسة مريم وفيها عُقدت اهم الجلسات المجمعية ، دُمرت بعدئذٍ لكثرة النكبات التي طرأت على تلك المدينة .

الآباء ، بعد التنبيهات الثلاثة ، عناد نسطور واتكاله على قوة السلاح ؛ تلوا القانون النيقاوي ، وسمعوا قراءة رسالة مار كيريلس الثانية ، فرأوها اجمعين موافقة لتعليم آباء نيقية . ثم قُرئ جواب نسطور على تلك الرسالة الاعتقادية ، وفحص الآباء المذهب الجديد ، فوجدوه مخالفاً لتعليم الكتاب المقدس والآباء فصرخوا بصوت واحد :

« فليكن محروماً من لا يحرم نسطور ! ان الايمان المستقيم يحرمه ! ان المجمع المقدس يحرمه ! فليكن محروماً من يشترك مع نسطور ! نحن نحرم اجمعين رسالة نسطور وتعاليمه ! نحن نحرم اجمعين الكافر نسطور ! ... »

ثم قُرئت رسالة البابا مار شلستينوس ، ورسالة مار كيريلس الثالثة الى نسطور ، واوردت فقر من اشهر الآباء القديسين الشرقيين والغربيين الماحقة المذهب النسطوري ، وحدّد آباء المجمع ان سيدنا يسوع المسيح المتأنس هو اقنوم واحد ، وسيدتنا مريم العذراء هي حقاً ام الله ، لانها ولدت المسيح المخلص الذي هو اله حقّ ، واثبتوا الاثني عشر حرماً المذكورة سابقاً مادحين غيرة مؤلفها القديس ، ثم اصدروا هذا الحكم :

« نحن المدفوعون من القوانين المقدسة ورسالة ابينا الاقدس شلستينوس وشريكنا في الخدمة الالهية اسقف الكنيسة الرومانية ، وصلنا ضرورة الى اصدار هذا الحكم المحزن بعد سكب دموع غزيرة وهو : « ان سيدنا يسوع المسيح ، الذي جدّف عليه نسطور ، قد حدّد بواسطة هذا المجمع المقدس ان نسطور معدم من كل مقام اسقفي ومقطوع عن كل جماعة كنسية . »

ثم وقّع مار كيريلس اسمه على هذا الحكم مع بقية الآباء .

لقد استمرت هذه الجلسة الشهيرة من شروق الشمس الى غروبها ، اي الى الساعة السابعة والدقيقة الحادية عشرة (وهذا منتهى نهار ٢٢ حزيران في افسس) . ولما علم الشعب الافسسي ان الآباء حرموا نسطور وكفره ، شكر الرب وباركه لانه اخزى عدوّ الايمان ، وهنأ سيدتنا مريم العذراء فرحاً لانها سحقت رأس التنين الجهنمي ، وصرخ هاتفاً : « ليحيَ كيريلس الاسقف القديس عاضد الايمان ! ليحيَ هؤلاء الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح والامومة

الالهية لمريم البتول ! ! ».

وأوقد الشعب شموعاً ، اذ شرع الليل يُرخي سدوله المدلهمة ، ورافق متهللاً الآباء الى منازلهم بينما كانت النساء تحمل امامهم مجامر محروقة فيها الطيوب الزكية ؛ وعمّ الفرح جميع القلوب وأضيئت المدينة في تلك الليلة المباركة التي لم يُرَ لها مثيل.

وفي الغد اي في ٢٣ حزيران بلّغ الآباء نسطور صورة الحكم :

المجمع المقدس الملتئم في افسس

الى

نسطور يهوذا الجديد

« اعلم انك لاجل تعاليمك الكفرية ومخالفتك للقوانين ، قد اسقطك المجمع المقدس حسب المراسيم البيعية ، وصرّح انك مُسقط من كل رتبة كنسية. في الثاني والعشرين من شهر حزيران الجاري » .

وعُلقت صورة الحكم في ساحات المدينة ، ونشرها في شوارعها المنادون ، واذيع هذا الخبر في القسطنطينية والاسكندرية وبلاد مصر ورومية بواسطة الرسائل المجمعية . وفي ذلك النهار لفظ بعض الآباء مواعظ نفيسة بشأن سر التجسد ، فلنسمع الآن العظة البليغة التي القاها مار كيريلس في كنيسة القديسة مريم على مسمع الآباء والشعب :

« لقد التأم بسرعة مجمع القديسين الذين دعتهم القديسة مريم والدة الله الدائمة بتوليتها ! اني اراها ملتحفة بالنور ! وعليه يزفي فرحاً هذا المشهد ، مشهد الآباء القديسين ، ولو كنت ملوءاً حزناً . (١) الآن تتم فينا هذه الكلمة الداوودية العذبة : « ما احسن واجمل ان يسكن الاخوة معاً »

« السلام عليك اذن ، ايتها الثالوث الاقدس المحبوب ، الذي جمعتنا باسرنا في هذه الكنيسة المكرّسة لمريم والدة الله !

« السلام عليك يا والدة الله يا مريم ، يا كنز العالم الجليل ومصباحاً لا ينطفئ ، واكليل

---

١) سبب هذا الحزن انضمام بعض اساقفة المجمع الى آراء نسطور ، لكن اعظمهم رجعوا الى آباء المجمع خاصةً حين شاهدوا فظائع الحزب النسطوري .

البتولية ، وصولجان الايمان المستقيم ، وهيكلاً غير فاسد ، يا أمًّا وبتولاً معاً . بكِ مبارك في الاناجيل المقدسة ذلك الآتي باسم الرب ! السلام عليكِ انت التي احتويت في حشاك البتولي ذلك الذي لا حدّ ولا حصر له ! بكِ يمجد الثالوث الاقدس ومسجود له ! بكِ الصليب مكرم ومسجود على وجه الارض ! بكِ تظفر السماء وتفرح الملائكة وتُهرَّب الشياطين ! . . . بكِ مرفوعة الى السماء الخليقة الساقطة ! بكِ تتصل الى معرفة الحق البرايا اجمعها المتفرقة للاوثان ! بكِ يُمنَح المؤمنين المادُ المقدَّس ومسحة الفرح (اي سر التثبيت) ! بكِ تأسست الكنائس في المسكونة كلها وارتدت الشعوب الى التوبة ! . . . منكِ ظهر ابن الله الوحيد نور الجالسين في الظلام وتحت ظل الموت . بكِ تنبأ الانبياء وبشر الرسل الشعوب بالخلاص ! بكِ يقوم الموتى ! وبكِ تسود الملوك بسلطان الثالوث الاقدس ! اي امرىء يقدر ان يصف حقاً مريم التي لا مثيل لها ؟ » (١

لا يسعنا المقام ان نصف بالتدقيق بقية الجلسات ، فنقول انها مراجعة الجلسة الاولى الفخيمة وتثبيتها بعد وصول الممثلين السامين للحبر الروماني ، وقضاء مشاكل تهذيبية .

هذا هو تاريخ المجمع الافسي الشهير ! فيه انتصرت الكنيسة الكاثوليكية اعظم انتصار على ابواب الجحيم .

وهل وصلت يا ترى الرسائل المجمعية الى الملك ثودوسيوس ؟ كلا . لان الامير قنديديان وعساكره كانوا يحجزونها من كل جهة . ولما علم الآباء هذا الامر سلموا الرسائل الى رسول امين تنكر بزي فقير يتسوّل فاخفاها ضمن جوف عصاه ، وبعد وصوله بخير الى العاصمة دخل الى الملك وسلمه اياها . فبهذه الواسطة اطلع ثودوسيوس والاكليروس ثم الشعب القسطنطيني على ما جرى في افس ، وانكشفت مكايد نسطور وخلّانه .

هذا ولقد اعتاد المبدعون ان يستنجدوا غيرهم ويستعملوا جميع اصناف الحيل لبثّ كفرهم . ألم يلتجئ من قبل ضد مار اثناسيوس الاساقفة الاريوسيون وتباعهم الى ملوك الشرق قسطنطين ، وولده قسطنس ، ويوليانوس الكافر ، الذين نفوا القديس من كرسيه سنداً الى تهم اعداء الايمان الشنيعة وبالهم ؟

(١ منذ ايام المجمع الافسي زيد على السلام الملائكي : «يا قديسة مريم يا والدة الله صلي لاجلنا » بامر البابا مارشلستينوس المتوفى سنة ٤٣٢ ، وهو من اعظم الاحبار الرومانيين .

ولكن رغم هذه الاضطهادات المرة المتواصلة مدة ٤٢ سنة ثبت بطل المجمع الشقاوي مضطراً بنار الغيرة الرسولية على صيانة ايمان الآباء النيقاويين، واعداؤه تبددت كالدخان ، واما القديس فات مطمئن البال في كرسيه .

وهكذا كان في المجمع الافسسي . كان نسطور وحزبه اخذوا يمكرون صفاء الجلسات المجمعية وغايتها ! فطلب الكافر بشدة عضد القوّاد الملكيين اصدقائه وعساكرهم والمدافعة عن حياته وحياة تباعه بقوة السلاح !

ويجب ان لا يأخذنا العجب حين نشاهد يوحنا البطريرك الانطاكي واساقفة المشرق ، اي بلاد الشام ، واشهرهم ثودوريطس اسقف قورش واسكندر اسقف هيرابوليس (منبج) معتصبين لنسطور بعد وصولهم الى افسس ، وعلمهم بنتيجة الجلسة الاولى ! اجل ان هذا الامر شقّ عليهم لزعمهم ان البطريرك المبدع مظلوم، ومار كيريلس وآباء المجمع لم يدركوا معنى تعليمه حق الادراك ، فعقدوا مجمعاً مزوّرًا في منزلهم وحرموا كيريلس وممنون وطرحوهما في السجن واهانوا قضاة المجمع الافسسي .

ويا للعجب من يوحنا : كيف حرمهما دون استدعائهما القانوني ؟ الم يعرف يقيناً ان كيريلس يمثل الحبر الاعظم في المجمع الافسسي ؟ الم يسبق يوحنا كما ذكرنا وينبه نسطور الى غلطه ويحثه على اصلاحه وقبول تعليم الكنيسة الجامعة؟

اجل ان سلوك يوحنا يصعب فهمه ! انه كان بعد شاباً ، ويحب نسطور محبة كلية لكونه من الاكايروس الانطاكي . فاندفع للمحاماة عنه بقوة هذا الحب الاعمى واحتيال الامير قنديديان . لكنه لما انتبه الى غلطه ، جاهر بتعليم المجمع الافسسي، ورذل هو واساقفته البدعة النسطورية وصاحبها وطلبوا اجمين[1] مصالحة مار كيريلس .

وما كان نصيب نسطور بعد حرمه ؟ حين عرف ثودوسيوس بخيانته وشر كفره ارسله الى دير مار اوريبيوس ليقضي ايامه فيه بالعزلة التامة . لكن الكافر اخذ يناضل عن آرائه وينشرها سرًّا في انطاكية[2] ونواحيها ، فطلب

١) يستثنى اسكندر اسقف منبج الذي انزله البطريرك يوحنا عن كرسيه لثباته على عناده في اتباع نسطور ، فارسل الى المنفى. ٢) *cf.* Evagrius, *Hist. Eccl. Liv. I, c. 2...*

البطريرك يوحنا نفسه من الملك ثودوسيوس ان ينفي المبدع الى محل بعيد ليحفظ الشعب الانطاكي من اضاليله . فارسله الملك اولاً الى بترا (مُلْع) في بلاد العرب ، ثم الى برية واسيس في بلاد مصر ، واس بحرق مؤلفاته النفاقية . وقبل وفاته († ١٣٩) اكل الدود لسانه النجس المجدّف على اقنوم المسيح وامّ الله ، وتمزق جسده وفسد .

قيل : ان المبدعين متكبرون ! فهذا القول يطابق نسطور تمام المطابقة ! اذ طار على متن الكبرياء ولم ينتفع لا من نصائح الجبر الاعظم ومار كيريلس ومار دلاط وصديقه يوحنا الانطاكي ، ولا من تهديداتهم القوية ، ولا من التأديبات الكنسية والمدنية المنزلة به ، فمات شر ميتة !

هكذا سقط نسطور المتكبر كما سقط لوسيفوروس من السماء حسب ملاحظة البابا كسوستوس الثالث [1] ، خلف مار شلستينوس . وفي هذا الكافر كما في غيره تمت آية البتول المتواضعة : « شتت (الرب) المتكبرين بافكار قلوبهم . حطّ المقتدرين عن الكراسي . [2] »

---

١) *cf.* Xisti III, *Epist.* 5 *et* 6

٢) انتشرت البدعة النسطورية بعد وفاة زعيمها بين السريان الشرقيين المعروفين بالكلدان ، على يد تلامذة المدرسة الرهاوية واشهرهم ابيبا وماري وبرصوم اسقف ناصيبين الذين طردهم ريولا اسقف الرها لاتباعهم هرطقة نسطور فزرعوا زؤانها في البلاد الفارسية مؤلفين شيعة يُدعى اصحابها نساطرة ، وهم الى الآن لا يقبلون من المجامع المسكونية الا الاول والثاني، ويكرمون اكراماً خاصاً نسطور وثودورس المصيصي وديودورس الطرسوسي سابقي الاضاليل النسطورية (*cf.* Assemani, *Bib. Or. IV. c.* 4.)